

# أعمال فنية تحاكي عطش الأرض السورية للأقطار

## شقائق النعمان في لوحات الفنان ضياء الحموي تروي وجع وطن

يشكل الفنان السوري ضياء الحموي فرادة في عالم التشكيل العربي. وإن كان من أهم مواصفات التجريد إعطاء الموجودات أشكالاً متعارفاً عليها. فالفنان الذي لم تزل مدينته حلب وريفها بحضارتها العريقة وزخارفها الشرقية تسكن روحه، يُنطق الرموز في لوحاته التجريدية والتشكيلية على السواء ليهبها بصرية مُحددة المعالم، ولكنها مفتوحة على التأويل.



ميموزا العراوي  
ناقدة لبنانية

نشر الفنان السوري ضياء الحموي مؤخراً على صفحته الفيسبوكية عمليتين فنيين يحاكيان عطش الأرض السورية للأقطار، وقد تنسحب هذه الأعمال لتطال، ما تؤسس له من مشاعر وأفكار، الحرائق التي اشتعلت في الأحرار السورية الماهولة بالأشجار والمحاصيل.

### دعوات جمالية

أرفق الفنان هاتين اللوحتين بهذه الكلمات "يا كل غيوم المطر في العالم، امضي واحطلي في سوريا" و"صلاة استسقاء من أجل سوريا". وإن كانت اللوحة الأولى فمعمة برطوبة الجو وعذوبة الدعوة المستجابة، لا محالة، فاللوحة الثانية تتضح بشعرية الإلحاح



أشجار الصنوبر الحلبي تشي بعشق الحموي للزخارف الشرقية والتموجات اللونية المتوترة العابقة بتلاقي الظلال بالألوان

في الصلاة والقلق من عدم الاستجابة السريعة.

يظهر في أسفل هذه اللوحة حقل أحمر لا يتميز بتفجّر ظاهر للعنان بل بـ"خُنقة" كامنة ومُعبرة عن اختناق من فعل النداء المتكرر. إنه نداء أشواق النعمان (العزيزة على قلب الفنان)، ولحن صوتها المتمثل بصريا بما يشبه الإبر الدقيقة والمضيئة صعوداً نحو سماء متلبّدة بالغيوم الحاملة للمطر. وليست زهرة شقائق النعمان في لوحات الفنان دائماً بالزهرة حاضرة الملامح والبتيلات، إذ يجزدها الحموي في أكثر من لوحة من هيئتها، لا بل يحزّر روحها حتى تصبح رمزاً مفتوحاً على التأويل.

تأويل يُتيح به لكل مُتلق أن يبتكر المعنى الذي يجده مناسباً له، وذلك وفق مخزونه الثقافي والنفسي. وإضافة إلى تحويلها إلى رمز فري بالمعاني، يجعلها الفنان في لوحات أخرى كيانا ساردا للقصص التي تجري من حولها في فضاء اللوحات. تشير من تلك اللوحات إلى التي أرفقها الفنان بآية كريمة من القرآن الكريم "فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان".

وفي لوحات غير تلك الراضحة بتجريدية غنائية مؤثرة كما في لوحة علق عليها ضياء الحموي بهذه الكلمات "الإغواء الأبدى لشقائق النعمان"، والتي "يشطب" فيها الفنان السوري الأزهار بخط مائل صعوداً حتى أعلى اللوحة مُبدلاً في شكلها ومُبدداً لحدودها، في غير تلك اللوحات، جعل الفنان شقائق النعمان ساكنة لهيئات أشياء معروفة، لكن دون أن "يقَرّمها" إلى تفصيل تزييني باهت.

وتذكر من تلك اللوحات التي رسم فيها الفنان "ستائر" شرفة ليست هي إلا ستائر "لشرفتها"، أي شرفة الأزهار. كما أعلن الفنان في كلام له، استعاره من شاعر الأرض محمود درويش، مقرونا بعمل فني له تتألق فيه زهرة شقائق النعمان في وحدتها عن شمولية هذه الزهرة بالنسبة له "كم أحبك، كم أحبك



تجريد أشبه بقطعة موسيقية لا نهاية لها

كم سنة/ اعطيتني واخذت عمري كم سنة. وأنا أسميك الوداع ولا أودع غير نفسي.. كم سنة".

وتأخذنا هذه اللوحة بشكل خاص إلى لوحة أخرى وصل فيها الفنان إلى حالة "الشخصنة" الكاملة. شخصنة مُحببة لم يحرم الفنان أزهار الشقائق منها. إنها اللوحة المؤثرة التي لا تخلو من الطرافة بدت فيها الزهرة مضرجة برداء "ليلي" الأحمر في لحظة لقائهما بجذور، غير مرئي لنا، بذئب الغابة. علق ضياء الحموي على هذه اللوحة كتاباً "الوحش يعثر على الحسناء في غابة البتولا". لوحة تسرد أكثر من صيغة لمشهد واحد.

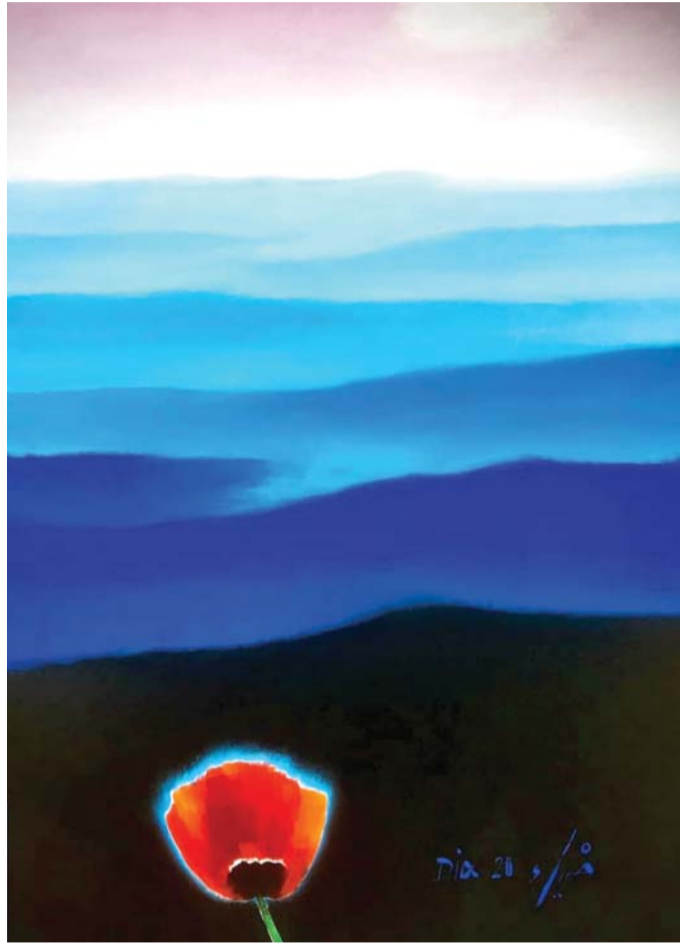
للفنان ضياء الحموي لوحة أخرى أشار فيها إلى العنصر البصري الثاني والمهم في عالمه التشكيلي. عنصر هو في أحيان كثيرة مرافق لأزهار شقائق

النعمان. نقصد هنا أشجار البتولا أو ما يسميها البعض بأشجار الصنوبر الحلبي. عنوان اللوحة "حديث الصباح والمساء في غابة البتولا".

### تموجات خطية

من خلال هذه الشجرة الفارعة الطول، ذات الأوراق المتفرقة والتي يتميز جذعها بتقشّرات وتقطعات لافتة جمالياً، استلخ الفنان السوري أن يبني عالماً فنياً قائماً بذاته يشي بعشقه للزخارف الشرقية والتموجات اللونية والخطية المتوترة العابقة بتلاقي الظلال بالألوان.

كثرت اللوحات التي ظهرت فيها جذوع تلك الأشجار لتكون في بعض منها لوحات تشكيلية وفي بعضها الأخرى تجريدية/ غنائية وصولاً إلى



للأزهار شرفة تطل على عالم خيالي بديل

ضياء الحموي يجعل من شقائق النعمان كيانا ساردا للقصص التي تجري من حولها في فضاء لوحاته الغنائية التجريدية

كؤنية ارتجاجية كقطعة موسيقى لا بداية ولا نهاية محددة لها. فالفنان يبدو أنه من هؤلاء الفنانين الذين لا يحبون التشكيل المغلق ويفضلون لإنهائية الانسياب الذي لا يستطيع أن يكون مُعبراً بكليته، إلا إذا كان مفتوحاً.

من نسج أزهار شقائق النعمان ولحاء أشجار البتولا يقوم عالم فنان ضياء الحموي. عالم تجري فيه تحولات مستمرة وفيه تتدفق أيضاً زُرقة السماء الشرق أوسطية وبحرها الذي يجب أن يُظهر في لوحات الفنان الحلبي روح الأنهار والأشجار وأزهار شقائق النعمان دون أن يفقد هديره وملوحة رذاذه.

شارك في عدد من المعارض المشتركة منها معرض مع الفنان نهاد ويشو في صالة المتحف الوطني في حلب عام 1985، ومعرض الفنانين الستة في صالة "بلاد الشام" في حلب عام 1995، ومعارض جماعية داخل سوريا وخارجها. وسبق له في العام 1997 أن عرض جدارية "السيرة الذاتية للطائر الضليل" في صالة "عالم الفنون" في بيروت.

# مدرسة للإنشاد الديني في مصر تبرز بين موسيقى الشرق والغرب

## المنشد المصري محمود التهامي: الصوفية لا تتعارض مع الحداثة والتجديد

يسعى المنشد المصري محمود التهامي إلى تجديد فن الإنشاد الصوفي وربطه بموسيقى العالم، كي يقربه أكثر إلى الأجيال الشابة، وهو الذي أسس في عام 2014 "مدرسة الإنشاد" التي تبرز بين موسيقى الشرق والغرب، الأمر الذي مكن طلابه من تدعيم الموهبة بالعلم.

أسقط جنوب البلاد ونشأ في بيت والده ياسين التهامي شيخ الإنشاد والمدح الشهير، وأسس مدرسة الإنشاد في عام 2014 بعد تأسيس نقابة الإنشاد الديني. وقال التهامي "تدبّر لنا أن أغلب المنشدين المحترفين يعملون بالخبرة والموهبة فقط دون العلم، من هنا وجب علينا أن نؤسس مدرسة الإنشاد حتى تصل المواهب بالدراسة والعلم". وأشار إلى أن طلاب المدرسة يدرسون التواشيح وعلم النغم والمقامات

القاهرة - أمام جمع من الأطفال والشباب والكبار جلس نقيب المنشدين الدينيين في مصر الشيخ محمود التهامي على أريكة خشبية يختر الحاضرين في فن المقامات الموسيقية وما يحفظون من أناشيد؛ إنها مدرسة الإنشاد الديني التي تأسست للحفاظ على تراث الآباء والأجداد وتحويله فناً معاصراً. كان الحاضرون يجلسون في فناء واسع داخل قصر الأمير طاز وسط القاهرة، حيث نفضت التاريخ الإسلامي تفوح من الجدران والأعمدة والأبواب. ولم يكن التهامي يعتمد عمامته الشهيرة وجلبابه الصعيدي الفضفاض، بل كان ممسكاً بعوده الخشبي يداعب أوتاره ويؤدّي الأناشيد الدينية مرتدياً قميصاً صيفياً وسروالاً قصيراً من الجينز وقبعة ونظارة شمسية. وقال الشيخ محمود التهامي في إشارة إلى ملبسه "لا أستطيع الذهاب إلى الصعيد (جنوب مصر) بهذا الزي، لا بد من أن ارتدي العمة والجلباب". وأضاف "لكن هنا أنا وسبط أولادي وشباب المنشدين، ومن الممكن أن يرهبوا العمة والجلباب بعض الشيء ما قد يؤثر على التفاعل". تربي محمود، المنشد الصعيدي البالغ من العمر 41 عاماً، في محافظة

الموسيقية واللغة ومخارج الألفاظ، وتتراوح فترة الدراسة بين أربعة وستة أشهر.

وتستقبل المدرسة التي تخرّجت فيها حتى الآن تسع دفعات، كما يؤكد التهامي، "كل الأعمار والأديان والأجناس ومن جميع دول العالم، طالما تتوافر الموهبة".

### فن إنساني

يقول التهامي إنه من محبي الصوفية، وأنه نشأ بالفعل في بيت صوفي، ولكن لا يدعي أنه صوفي لأن ذلك بالنسبة إليه "مسؤولية".

وأضاف أن التصوف الآن يلعب "دورا كبيرا في تصحيح العقائد والأفكار في زمن التطرف والعنف والإرهاب".



الإنشاد الديني لا يقتصر على الذكور فقط

وأثناء تدريب طلاب المدرسة وتوجيه الناصح من قبل الشيخ، قرّر التهامي تشغيل موسيقى الرانما الغربية الشهيرة مثل الروك والبوب والهوس والراي، في مشهد غير اعتيادي.

وفي السنوات الأخيرة سعى التهامي من الإنشاد والمدرسة إلى أن يطبق فكرة جديداً يقوم على الحفاظ على التراث والأصالة وتقديمها بطريقة حديثة من خلال المزج بين السوان فنية وثقافية متنوعة.

وقال "مزجت بين فن الإنشاد الديني بالأسلوب التقليدي واللوان الموسيقي الأخرى الغربية والشرقية".

وكان عام 2017 بداية تجربة التهامي المعاصرة عندما قدّم ثلاثة أناشيد في الألبوم الغنائي الأميري "أوريغن" الذي حصد إحدى جوائز "غلوبال ميوزيك أورد".

ويقول التهامي "بعد 2017 بدأت انطلق إلى المهرجانات الفنية الدولية، ليس الدينية فحسب، حتى يصبح الإنشاد فناً إنسانياً مرة أخرى".

ومن بين مظاهر تجديد التهامي في فن الإنشاد، مشروع تعاون ما زال مستمرا بينه وبين الموسيقي المصري الحائز على جائزة "غرامي أورد" فتحي سلامة تحت اسم "الصوفية مقابل الحداثة".

ويقول التهامي إن ذلك التعاون "لقي اهتماماً عالمياً وكان من المفترض أن نقدّم عرضاً في النرويج وإيطاليا، قبل أن تتوقف الرحلات بسبب كورونا". وكشف التهامي عن أحدث مشروع له في هذا الصدد وهو "اللغة العربية

الفصحى بموسيقى الشعوب"، مشيراً إلى أن الهدف من المشروع هو "أن يتم طرح الفصحى بموسيقى مختلفة مثل الروك والبوب والهوس والراي، وأن نستطيع من خلالها توصيل اللغة العربية لأغلب الفئات ليس فقط الغرب وإنما الشباب المحلي أيضاً".

طلاب مدرسة الإنشاد يدرسون التواشيح وعلم النغم والمقامات الموسيقية واللغة ومخارج الألفاظ على امتداد ستة أشهر

تأسيس الأوركسترا في يناير الماضي بالتزامن مع حصول مصر على لقب مسابقة "منشد الشارقة".

وتضم الأوركسترا حتى الآن 40 منشداً و25 موسيقياً، ولكن لم تعمل بطاقتها الكاملة بعد بسبب جائحة كوفيد - 19 التي أوقفت الكثير من الحفلات والعروض.

علق المنشد المصري "الجمهور الغربي والأجنبي يستقبل الإنشاد بشكل أقوى من الجمهور المصري والعربي.. قد لا يفهمون الكلام، ولكن يصلهم الإحساس بالتاكيد".

وحول مدرسته التي دعت الكثير من الفرق، ومنها فرق فتيات، وسط آراء متشعبة تحرم ذلك التوجه، يقول التهامي "لا يعقل والمرأة تحكم دولا، وتتولى أعلى المناصب في دول إسلامية وليس في الغرب فقط، إن اتمسك بمقولات تراثية تقر بأن صوت المرأة غورة، ويكفي أن هناك أمهات يتعلمن الإنشاد ليقتن بتعلم أبنائهن الإنشاد، حيث تات إلى المدرسة أمهات أصواتهن جميلة وأصوات أبنائهن أيضاً يتعلمن من أجل دعم أبنائهن ومساعدتهم، ولا أعرف ما الذي يضنّ في أن تتجمع فتيات في الصلاة على النبي، ما المشكلة في ذلك".

ولا يرى محمود التهامي أي مشكلة في أن ينشد المسيحي أو يرمم المسلم، "نحن شركاء في الوطن والإنسانية، والإنشاد والترايم فن مثل كل الفنون الجميلة الراقية، وانتشر بالإنشاد في كنيسة، فهي بيت من بيوت الله".